

صور من آثار البعد الديني في سلوك مجاهدي الثورة التحريرية

د. نصر سلمان

جامعة الأمير محمد القادر

إنَّ الثورة التحريرية الجزائرية ثورة عظيمة كان لها الصدى الواسع داخلياً وخارجياً، وعظمتها تتجلى في أبعادها المختلفة الدينية، والسياسية والثقافية والعسكرية، وهذه الأبعاد كان لها الدور الكبير في نجاح هذه الثورة، وتحقيقها انتصارات باهرة.

ولا شك أنَّ للبعد الديني أثره الواضح في سلوك المجاهدين وثباتهم، وهو ما يتضح من خلال الحقائق الآتية:

أولاً — التيامن بميلاد الرسول ﷺ: إذ المتأمل للفتاح من نوفمبر سنة 1954م، يجده يصادف يوم الإثنين، والحقيقة أنَّ اختيار هذا اليوم لم يكن مجرد مصادفة، وإنَّما جاء عن اختيار مسبق وذلك لأنَّ المجاهدين يعتبرون يوم الاثنين يوم تفاؤل ويمن وخير لأنَّه ولد فيه نبيُّ الهدى محمد ﷺ، وهو مولد النصر الحقيقي بالنسبة للمسلمين¹.

¹ — عمار قليل: ملحمة الجزائر، ج1، ص 192.

ثانياً - بروز المصطلحات القرآنية في قاموس الثورة الجزائرية: ولا أدلّ على ذلك من تسمية القتل في المعركة بالشهيد والمحارب بالمجاهد. بل إنَّ الجريدة التي تعدُّ اللسان الناطق باسم الثورة التحريرية أطلقوا عليها اسم "المجاهد"، هذه الجريدة التي خصّصت في عددها الأوّل من سنة 1956م، صفحتها الأولى لمناقشة لفظة الجهاد، واعتبرت جوهر الكلمة يدلّ على ظاهرة متحضّرة من الدفاع عن الذات للحفاظ على القيم العليا الضرورية للفرد وللجماعة، كما أنّ الجريدة تتعجّب في الأخير وتتساءل: «أيرى الناس عجباً أن يصطبغ الإسلام بالوعي القومي، فيساهم في إظهار الحقّ على الباطل، ويناصر قضية عادلة؟»².

ثالثاً - استمداد كلمات السر المستخدمة في الثورة من الثقافة الإسلامية: والأمثلة على ذلك كثيرة منها: «إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ»³، علي، عقبة، عمر، خالد¹، ومعلوم ما لهذه الأسماء من دلالات في تاريخ الأمة الإسلامية الحافل بالنصر والبطولات.

1 - مختار فيلالي: مقال بعنوان "البعد الديني في التنظيم الاجتماعي والمقاومة إبان الثورة التحريرية" ص 04.

2 - محمد الشريف سيدي موسى: مقال بعنوان "مقاومة الاحتلال أسمى جهاد في سبيل الله" ص 04.

3 - سورة آل عمران: 160.

رابعا — تأثير الشعارات الإسلامية في إقدام ورفع الروح المعنوية للمجاهدين: ومن أجمل الأمثلة قصة ذلكم الجندي الذي دخل المعركة وقلبه مفعم بإيمان لو قسم على أهل الأرض لكفاهم، وعند اشتداد أوار المعركة واشتعال لهيبها، ورأى القائد الجزائري أن المعركة غير متكافئة إذ واجههم العدو بالدبابات، فأمر جنوده بالتراجع، فإذا بالمجاهد يحمل قنبلة يدوية ويتجه بها لتحطيم الدبابة، فيناديه قائده باسمه أن تراجع، فلم يفعل، وفجر القنبلة على الدبابة، ونجّاه الله وكتب له الحياة، وبعدها دعاه القائد ليعاتبه على مخالفة أمره، وفي نفسه رغبة في أن يكرمه، فقال له: يا فلان ما الذي جعلك لا تسمع قولي، ولا تنفذ أمري، وتواجه الدبابة بما معك من سلاح بسيط، وقنبلة لا تكاد تفعل شيئا؟ فأجاب الجندي المجاهد قائلا: في تلك اللحظات دويّ الله أكبر قلب الموازين في عيني فجعلني أرى نفسي دبابة والدبابة ذبابة².

خامسا — الرغبة في الاستشهاد وصنيعه في انتصارات الثورة: وأبلغ مثال على ذلك ما وقع في بشار ومنطقة "أمنوتات" التي تقع غرب بشار

1 - مختار فيلاي: المقال السابق نفسه، ص 03.

2 - أبو عبد السلام جعفر أولفقي: مقال بعنوان "مواقف ومشاهد من البعد الروحي في الثورة" ص 3.

وتبعد عنها بحوالي 70 كلم وذلك سنة 1958، إذ يروي أحد المجاهدين الذين حضروا المعركة التي استخدمت فيها فرنسا قذائف النابالم الحارقة، والمحرمة دولياً، فكان أن بعض المجاهدين من بترت رجله، أو ساعده، ورغم ذلك ظلوا يقاتلون جيش العدو ببسالة وعزيمة وقوة شكيمة، بل كانوا أكثر شجاعة وهم جرحى منهم وهم معافون تحذوهم في ذلك رغبة وحيدة وهي الشهادة في سبيل الله، وصنيع هؤلاء يذكرنا بما روي عن حكيم بن جبلة الذي قطعت رجله يوم الجمل، فأخذها ثم زحف للذي قطعها، فلم يزل يضربه بها حتى قتله، ثم أنشد يقول:

يأنفس لن تراعي رعاك خيرا راع
إن قطعت كراعي إن معي ذراعي¹.

سادسا - تأصيل مصطلح الجهاد في نفوس كل طبقات المجتمع الجزائري: ومن ذلك قصة تلك الأم بإحدى قرى القبائل الكبرى التي كان لها ولد وحيد، وكانت تحضه على الالتحاق بالثورة للجهاد في سبيل الله، وذلك سنة 1956م، وبعد برهة من الزمن سقط شهيدا في ساح

1 - أحمد تواقين : مقال بعنوان : البعد الروحي وأثره في نجاح ثورة النار والنور خلال ثورة نوفمبر المباركة 1954" ص 7 - 8.

الوغي، فأتى به الفرنسيون ورموا بجثته في وسط القرية، وهو مضمخ بدمائه الزكية، وجسده ممزق برصاصهم الآثم ظناً منهم أن هذا يثني غيره عن الجهاد في سبيل الله، ولما وقعت عين الأم على فلذة كبدها ووحيدها أجهشت بالبكاء، فقال لها الضابط الفرنسي على لسان أحد الخونة: لماذا تبكين؟ أنسيت أنك من دفعه لهذا المصير؟ وهنا رفعت رأسها في شموخ، وتحدّ قائلة في كبرياء الأبطال: «أتظن أنني أبكي لموته؟ كلا، إنما أبكي على أن ليس لي ولد آخر يخلفه في المعركة مجاهدا في سبيل الله»¹.

وقصة كهذه لا شك أنها تذكرنا بمقولة الخنساء — رضي الله عنها — لما جاءها خبر استشهاد أبنائها في معركة القادسية فلم تجزع، ولم تزد على أن قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

سابعا — الرغبة في دخول الجنة وتأثيراتها في الجهاد ضدّ المستدمر: كثيرون هم أولئك الذين حملوا السلاح ضدّ فرنسا رغبة منهم في دخول جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، ومن هؤلاء المجاهد الكبير عبد المالك قرّيد — أطال الله في عمره — الذي يعرف الآن في منطقة

1 - محمد الصالح الصديق: مقال بعنوان "معجزة شعب"، ص 6.

وادي سوف بالجَنَّة، وذلك لأنَّه شارك في معارك طاحنة ومتعدِّدة، ومن عجائب الصدف أن يستشهد جميع من معه في كلِّ مرة، وتكتب له الحياة، فيسأله قوَّاد الثورة عن رفاقه، فيبكي ويقول: «لقد دخلوا الجَنَّة بأحذيتهم»، فقام أحد قواد الثورة قائلاً: «إنَّ جيش التحرير ابتداء من اليوم يطلق على هذا الرجل اسم الجَنَّة»، وفعلاً لا يزال كثير من الناس اليوم لا يعرفون اسمه الحقيقي، وإنَّما يعرفونه باسمه الثوري وأنعم به من اسم.

وقصَّة الجَنَّة هذه تذكِّرنا برغبة بعض الصحابة في دخول الجَنَّة — رغم أنَّهم من أهل الأعدار المسقطه للجهاد عنهم — فهذا عمرو بن الجموح ؓ كان أعرج، وقد أسقط الله عن أمثاله الجهاد فقال: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ»¹، ولكن لما توجَّه رسول الله ﷺ إلى أحد أراد أن يخرج معه، فقال له بنوه: «إنَّ الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد»، فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: «إنَّ بَنِي هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونِي أَنْ أَجَاهِدَ مَعَكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَسْتَشْهَدَ، فَأُطَا بِعَرَجَتِي هَذِهِ الْجَنَّةَ» فقال له رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْجِهَادَ»، وقال لبنيه:

¹ - الفتح : 17.

«وما عليكم أن تدعوه لعل الله ﷻ أن يرزقه الشهادة؟»، فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدا¹؛ وبعد المعركة مرَّ عليه رسول الله ﷺ فقال: «كأنِّي أنظر إليك تمشي برحلك هذه صحيحة في الجنة»².

وما أروع ما ورد عن العقيد محمدي السعيد، الذي كان يعرف في الثورة بـ "سي ناصر" حين كان يتساءل عن الدافع الذي دفع بالمجاهدين إلى الجهاد في سبيل الله فقال: «هل كان هذا الدافع هو الرغبة في الذهاب إلى الجنة؟ أم الرغبة في الحصول على الاستقلال فقط؟ وأحبُّ أن أصرِّح بأنِّي من أصحاب الموقف الأوَّل، ولكنِّي أوَّكد في الوقت ذاته للذين يعلمون، والذي لا يعلمون أنني لو عشت في عهد الاحتلال الروماني لكنت أوَّل من يحمل السلاح مع يوغرطة، وتكفاريناس، لأنَّ رغبتني في الذهاب إلى الجنة لا يمكن أبدا أن تتعارض مع حُبِّي لوطني، وأعتقد أنَّ الخائن لوطنه لا يمكن إطلاقا أن يكون مسلما حقيقياً، وقد حكمت عليه الثورة بالإعدام عن جدارة واستحقاق، فذلك ما يجب أن يذكره أو يعرفه كلُّ الرفاق»³.

1 - الشيخ الغزالي: فقه السيرة: ص 281 - 282.

2 - أحمد: المسند، قال الشيخ الألباني: وسنده صحيح، راجع هامش فقه السيرة، ص 282.

3 - أبو عبد السلام: المقال السابق، ص 05.

ثامنا — تعظيم المجاهدين وتوقيهم لشعائر الإسلام: وأبلغ مثال على ذلك أن القيادة العليا لجيش التحرير الوطني قرّرت في شهر رمضان من سنة 1956م أن تطلق سراح أوّل أسير يقع في أيدي جيش التحرير، احتراماً لهذا الشهر وإكراماً لمزايده، فكان ذلك من حظّ الجنديّ الفرنسيّ "روجي فال"، فأطلقوا سراحه وأخلّوا سبيله محمّلين إيّاه رسالة إلى القيادة العليا للجيش الفرنسيّ أهمُّ ما ورد فيها: «أيّها السادة، ليكن في علمكم أنّنا مسلمون، وأنّنا نؤمن بالله الذي لا إله غيره، وأنّ الإسلام هو الذي علّمنا مبادئ الرحمة والسخاء.

وامتثالاً منّا للتعاليم الإلهيّة، فإنّ قيادتنا العليا قد اتّخذت قراراً بتحرير أوّل أسير وقع في أيدينا، وذلك بمناسبة شهر رمضان المكرّم. وأنّنا نبعث إليكم مع الأسير الذي أطلقنا سبيله هذه الرسالة، وفيها نطلب منكم — أيّها الجنود — أن تحترموا التعاليم الأخلاقيّة التي يعمل بها الجنود في أنحاء العالم كلّها.

لماذا تلقون قنابلكم وتوجّهون رصاص رشاشاتكم إلى النساء والأطفال والشيوخ؟ لماذا يحرق جنودكم أكواخ هؤلاء البؤساء الذين كانوا دائماً

1 - راجع ذلك عند محمد الصالح الصديق، المقال السابق، ص 5.

فريسة للبؤس الذي ثار عليه الشعب، والذي نواصل كفاحنا من أجل
القضاء عليه حتى الانتصار؟

لماذا تقتلون رجالنا الذين يسقطون أسرى بين أيديكم؟ ولأي سبب
تمثلون بجثثهم وتشوّهوها؟

وكم من الأبرياء الذين ذبحتموهم تذيحا، وأقمتم فيهم المجازر، وفي
الوقت نفسه تغلّطون الرأي العام في فرنسا وفي الجزائر، وتؤكدون لهم أنّكم
تقتلون الثوّار؟¹.

تاسعا - خروج فلول كثير من المجاهدين من المساجد والزوايا: إذ
المساجد أو الزاوية يمثلان السلطة الروحية للمسلمين، فكم من مجاهدين من
كانت انطلاقته الأولى في الالتحاق بجيش التحرير من أحد هذين المعقلين، وكم
من المساجد من أعلن فيه النفير العام، ومن أدلّ الدلالات على دورهما في الثورة
شعور فرنسا بخطورتهما، فراحت تحوّل المساجد إلى كنائس كمسجد كشاوة
بالجزائر، ومسجد بن مروان بعنّابة، وجامع الباي بقسنطينة وغيرها.
ومن المساجد من حولتها إلى ثكنات كجامع القصبة ببجاية الذي كان
عبد الرحمن بن خلدون يدرّس فيه ويدع.

ومّا حوّلته إلى مخازن ومتاجر مسجد سيدي حسن بمعسكر الذي حوّلته إلى مخزن للبضائع والذخائر مدّة، ثم سلّمته لتاجر يهوديٍّ يخزّن فيه، ويتاجر بالحبوب وعلف الحيوانات، ومنها ما حوّلته إلى حظيرة لتربية الخنازير كمسجد خنق النطاح بوهران الذي سلّمته لليهوديٍّ حوّلته إلى حظيرة لتربية الخنازير إمعانا في المهانة والإذلال والاحتقار للإسلام والمسلمين.

وإلى جانب ذلك طاردت الأئمة والوعاظ والمرشدين ومعلّمي القرآن، نافية ومشرّدة ومقتّلة، بل منعت الأذان في المساجد المجاورة للمسيحيين الدخلاء، هذا مع رفض رفع سلطتها السياسيّة والإداريّة عن الإسلام والمسلمين رغم صدور قانون 1907م القاضي بفصل الدين عن الدولة¹.

أمّا بالنسبة للزوايا التي تدرس فيها مئات الطلبة فمنع فيها تدريس أبواب الجهاد في الفقه الإسلاميّ وتفسير القرآن، ومبادئ العقيدة، ولم يسمح فيها إلّا بتحفيظ القرآن دون سواه، بل تجاوز الأمر مصادرة أملاكها الوقفيّة كما حصل ذلك مع زاوية الشيخ الحدّاد بصدوق التي طاردها الإدارة الفرنسيّة بعد ثورة المقراني 1871م². هذا وقد حاولت فرنسا

¹ - يحيى بوعزيز: مقال بعنوان: "البعد الحضاري الديني والاجتماعي لثورة نوفمبر 1954-1962، ص 5-6

² - المقال نفسه: ص 7.

إنشاء زاوية عصرية موازية بالقرب من الزوايا الأصلية الداعية لتحرير الوطن عن طريق الجهاد في سبيل الله، اعتقادا من فرنسا أن الزاوية الجديدة ستكون تحت سلطانها ونظرها، وذلك انطلاقا من مشروع "ديون وكوبولاي" الذي يسمح لفرنسا أن تسيطر على الزوايا والطرق الصوفية¹.

ورغم ذلك فقد أدت الزوايا دورها كاملا غير منقوص في الدفاع عن الوطن، فتورة الأمير عبد القادر مثلا ما كان لها أن تأخذ هذا الحجم من الذبوع والتأييد والانتشار لولا استنادها على الطريقة "القادرية" الدينية، وكذلك بالنسبة لثورة الشيخ بوعمامة الذي كان هو نفسه شيخ طريقة، وكذا ثورة المقراني ما كسبت التأييد والعون من الشعب إلا بعد انضمام الشيخ الحداد وأولاده — شيخ زاوية صدوق — إلى صفوفها، وهم الذين قادوها بعد استشهاد المقراني ووهبوا الوطن أغلى ما يملكون² وقديما قال الشاعر مروان بن أبي حفصة:

1- محمد الطاهر عزوي: مقال بعنوان: "العوامل التي استعملها الاحتلال الفرنسي لمحاربة الدين الإسلامي منذ الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال" ص 14.
2- مار قليل: المرجع السابق، ج 1، ص 137 - 138.

يجود بالنفس إن ضنَّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود¹
عاشرا - حثُّ الثورة المجاهدين والمواطنين على أداء الواجبات
والفرائض الدينيّة: وفي مقدمتها الصلاة، مسلّطة عقوبات صارمة على
تاركها، والمتهاونين في أدائها².

وقد كان المجاهدون يحافظون على صلاة الجماعة وصيام رمضان رغم
جواز الإفطار فيه في حالة الجهاد³، وهذا اقتداء بالصحابة في معركة بدر
التي خاضوها وهم صيام، وصدق شاعر الثورة مفدي زكرياء في قوله:
نغمير غيـرت مجرى الحياة وكنت نـفـمـبر مطـلع فجر
وذكرتـنا في الجزائر بدرا فقمنا نضاهي صحابة بدر⁴
كما أصدرت قرارها بمنع التدخين في كامل التراب الوطني، وأنَّ كل
من خالف يقطع أنفه، والسبب في ذلك أنَّ الثورة وهي تسعى جاهدة
لتجنيـد المجاهدين في سبيل الله استهزأ أحد المستدمرين بهؤلاء المجاهدين
وبهذه الثورة، فقال: «إنَّ ما تحقّقه فرنسا من مداخيل عن طريق بيع التبغ

1 - محمد الصالح الصديق: المقال السابق، ص 11.

2 - يحيى بوعزيز: المقال السابق، ص 8.

3 - محمد الشريف سيدي موسى: المقال السابق، ص 08.

4 - إلياذة الجزائر: ص 45.

يكفي وحده لتموين عملية القضاء على الثورة»، وكان ذلك سنة 1955، فأصدر جيش التحرير — بعد صدور هذه المقولة — قرارا بمنع التدخين عبر التراب الوطني، واعتبروا المخالف له «مًا عَنْدُوشُ النَّيْفِ» فاستحقَّ قطعه. وبالفعل نفذ قرار قطع الأنف فيمن لم يلتزم بقرار الثورة، وبقي هذا القرار ساريًا حتَّى انعقاد مؤتمر الصومام حيث تمَّ إلغاؤه¹.

حادي عشر — وجود آيات من القرآن في بطاقة العضوية في جيش وجهة التحرير الوطني الجزائري: إذ الرائي لهذه البطاقة يجد مكتوبا في إحدى دفتيها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾²، وفي الدفة الأخرى قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾³.

ثاني عشر — استئنان المجاهدين واقتداؤهم بأفعال الصحابة: فهذا أحمد زبانا — رحمه الله — عندما حكمت عليه فرنسا بالإعدام بالمقصلة، ولما أخرجوه صبيحة يوم 18 جويلية 1955 من زنزانه في فظاظَة رقسوة

¹ - عمار قليل: المرجع السابق، ج1، ص 303 - 305.

² - التوبة: 20.

³ - التوبة: 41، وانظر: قليل: 399/1.

وقادوه إلى المقصلة، وما إن شاع ذلك بين السجناء حتَّى اندفعوا كالرعد
يردّدون نشيد ببروس:

إعصفي يا رياح واقصفي يا رعود
واثخني يا جراح واحدقي يا قيود
نحن قوم أباة ليس فينا جبان
لأنـمل الكفاح لأنـمل الجهاد
ففي سبيل الإله

ولمَّا قدّم إلى المقصلة سأل جلّاديه أن يرخصوا له في صلاة ركعتين،
ولكنّهم رفضوا، ولم يسمحوا له إلّا بعد تدخّل محاميه لدى الضابط
الفرنسي، فأدّى ركعتين في رزانة وثبات وجلال وإيمان متشبّها في ذلك
بالصّحبيّ الجليل خبيب الأنصاريّ، لمّا أراد المشركون قتله فطلب أن
يسمحوا له بأداء ركعتين قبل الشهادة، ثمّ أنشد يقول:

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما جمع الأحزاب لي عند مصرعي
فذلّ العرش صبرني على ما أصابني فقد قطعوا لحمي وقد ضلّ مطمعي

وقادوه إلى المقصلة، وما إن شاع ذلك بين السجناء حتَّى اندفعوا كالرعد
يردّون نشيد بربروس:

إعصفي يا ريّاح واقصفي يا رعود
واثخني يا جراح واحدقي يا قيود
نحن قوم أباة ليس فينا جبان
لأنمل الكفاح لأنمل الجهاد
ففي سبيل الإله

ولما قدّم إلى المقصلة سأل جلّاديه أن يرخصوا له في صلاة ركعتين،
ولكنّهم رفضوا، ولم يسمحوا له إلّا بعد تدخّل محاميه لدى الضابط
الفرنسي، فأدّى ركعتين في رزاة وثبات وجلال وإيمان متشبّها في ذلك
بالصّحبيّ الجليل خبيب الأنصاريّ، لما أراد المشركون قتله فطلب أن
يسمحوا له بأداء ركعتين قبل الشهادة، ثمّ أنشد يقول:

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما جمع الأحزاب لي عند مصرعي
فذلّ العرش صبري على ما أصابني فقد قطعوا حمي وقد ضلّ مطمعي

وقد عرّضوا بالكفر والموت دونه وقد ذرفت عيناى فى غير مدمع
ولست بمبد للعدو تحشّعا ولا جزعا إني إلى الله مرجعي
ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان فى الله مصرعي
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أشلاء شلو ممزع¹

وقبل أن ينفذ فيه الإعدام قال: «إنني مبتهج بأن أكون أوّل
من يصعد إلى المقصلة فبنا أو بدوننا ستحيا الجزائر»، وما أن
انتهى من كلامه حتّى انطلقت حناجر السجناء مردّدة: «إنّا
سنبتعك إلى المقصلة هذا لا يهّم، فبنا أو بدوننا ستحيا الجزائر
حرّة مستقلّة».

وأمام المقصلة سأله القاضي ألك رغبة تريدها؟ فأجابه زبانة بسخرية
 واحتقار: «ليس من عادتنا أن نطلب، بل من عادتنا أن نتزع منكم
استقلال الجزائر إن عاجلا أو آجلا».

ثم رجع يسأله: ألا تخاف المقصلة؟ فأجابه: «ما أنا بالذي يخاف مقصلة
أعدّت منبرا لأمثالي، بل إنّ المقصلة سترتعد فرائصها منّي بعد قليل».

1 - محمد الصالح الصديق: المقال نفسه، ص 5، و8.

ثمَّ سأله الإمام: هل لك وصيةٌ توصي بها؟ فأجابه: «لقد كنت إماماً تصلي بالناس، فوصيتي لك أن أكون اليوم إماماً لتصلي ورائي»¹؛ أي أن تقتدي بي في الجهاد والاستشهاد على مذبح الحرية. وهكذا يقتل زبانا لتحيا الجزائر ولسان حاله يردد كما جاء في قصيدة الذبيح الصاعد لشاعر الثورة مفدي زكريا²:

«أشفقوني فلست أخشى حبلاً واصلبوني فلست أخشى حديداً
وامثل سافراً محيَّاك جلاً دي ولا تلثم فلست حقوداً
واقض يا موت في ما أنت قاض أنا راض إن عاش شعبي سعيداً
أنا إن ممت فالجزائر تحيا حرّة مستقلة لن تبداً»

ثالث عشر - استمداد القضاء إبان الثورة من أحكام الشريعة الإسلامية: أنشأت الثورة جهازاً إدارياً وقضائياً بديلاً عن الأجهزة الاستدمارية، معتمدة في ذلك أحكام الشريعة الإسلامية في جميع المجالات مدنية كانت أو عسكرية، أو جنائية، كما أن الثورة لم تتأخر أو تقصر في

1 - المقال نفسه.

2 - راجع ذلك في كتاب النصوص والمطالعة العربية لتلاميذ السنة التاسعة أساسي، ص 31 - 32.

الدفاع بصرامة عن حدود الله، ومعاقبة متجاوزيها مهما كان موقعهم، أو مكانتهم¹.

رابع عشر- تكوين جبهة التحرير الوطني مصلحة للأوقاف الإسلامية: وذلك لحماية أموالها ومدخولاتها، وللإنفاق منها على الأئمة والوعاظ، والمرشدين، وطلاب العلم، ومعلمي القرآن، الذين جندتهم الثورة للعمل في هذا الميدان² حتى لا تنطمس المبادئ الإسلامية واللغة العربية، في وطننا الغالي الحبيب.

خامس عشر- المصحف زاد روحي ومعنوي لمجاهدي ثورة التحرير: ومن أجمل ما يروى في ذلك أن أحد شهداء جيش التحرير، الذي سقط في ساحات الوغى بعد معركة ضروس مع قوات الاحتلال، وقد جاوز هذا الشهيد الستين من عمره، وما كاد يراه الضابط الفرنسي حتى تقدم نحوه في خطى سريعة، ووقف أمامه يتأمله في صمت ووراء جنوده، ثم جثى على ركبتيه لينظر ما يوجد في طربوش قشايته، فإذا به يفاجأ

1 - مختار فيلاي: المقال السابق: ص 03.

2 - يحيى بوعزيز: المقال السابق: ص 8.

بوجود المصحف فيه، فلم ينبس ببنت شفة، وكان من بين من حضر هذه الواقعة أحد الحركي، ولما شاهد هذه الصورة تفرط قلبه، واستيقظ ضميره، وغمره شعور بالخزي والعار، فالتحق بصفوف جيش التحرير، ليكتب مع إخوانه المجاهدين صفحات مضيئة بالمجد والخلود لأنه تبين له أن المدافع والقنابل قد تقضي على الأجساد، ولكنها هيهات هيهات أن تقضي على العقيدة والمبادئ والقيم¹.

سادس عشر- تأثير مواقف بعض الصحابة على الشعب الجزائري في الجهاد بالمال أثناء الثورة التحريرية: ومن ذلك أن مواطنًا جزائريًا أهدى جميع أمواله للثورة التحريرية لما سمع أحد أئمة المساجد يشرح ويفسر قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾²، وقد ذكر الإمام قصة الصحابي الجليل أبي الدرداء مع هذه الآية، حيث قال زيد بن أسلم: لما نزل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو الدرداء: فذاك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض، قال: نعم يريد أن يدخلكم الجنة به»

1 - محمد الصالح الصديق: المقال السابق: ص 9.

2 - سورة البقرة: 245.

قال: فإنِّي إن أقرضت ربِّي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحاحه معي الجنة؟ قال: «نعم»، قال: فناولي يدك، فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إنَّ لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضاً لله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك» قال: فأشهدك يا رسول الله أنني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: «إذا يجزيك الله به الجنة»، فانطلق أبو الدحاح حتَّى جاء أمَّ الدحاح وهي مع صبياتها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشد يقول:

هداك ربِّي سبيل الرشاد إلى سبيل الخيــــــــــــــــر والسداد
بيني من الحائط بالوداد فقد مضى قرضاً إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي بالطوع لا من ولا ارتداد
إلأرجاء الضّعف في المعاد فارتحلني بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد قدّمه المرء إلى المعاد
فقلت أمَّ الدحاح: ربح بيعك، بارك الله لك فيما اشتريت، ثم
أنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح مثلك أدّى ما لديه ونصح

قد سَمِعَ اللهُ عيالي ومنح بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح
ثم أقبلت أم الدحداح على صبيائها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في
أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبي ﷺ: «كم من عذق
رداح ودار فياح لأبي الدحداح»¹.

وما إن سمع أحد الجزائريين هذه القصة حتى وجد نفسه يقرض أمواله
إلى الله قرضا حسنا مقدما إياها للثورة التحريرية عن طيب نفس ورضى
خاطر.

وفي الأخير، وبعد هذه الجولة في رحاب تأثيرات الجوانب الروحية
والدينية في مضي ثورة التحرير قُدُما في تحقيق الانتصار تلو الانتصار لأن
الذين قادوها أصحاب حق، وبطولة، وفداء، وتمسك بمبادئ ديننا
الإسلامي الحنيف، وصدق محمد التهامي حين قال:

في الهول في لهب المجازر ألقاك يـا بطل الجزائر

¹ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص 238 - 239.

ألقاك مرفوع الجبيد — من مخضب الكف — ين هادر
ألقاك بالجرح العميد — ق وبالدّم المهرق ساخر
ألقاك تـزأر في المـرو ج الخـضر في جوف المغاور
ألقاك للـرـوع الجـد — ح في مجال الموت قاهر
ألقاك تُقتل أو تمـو ت وأنت في الـحـالين ظافر
يا صاحب الحق الكبيـر — ر نشرته كالصبح سافر¹.

وفي الختام: نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل التوفيق حليف
ملتقانا، وأن يرحم شهداءنا، الذين قتلوا من أجل أن تحيا الجزائر

¹ - كتاب النصوص والمطالعة العربية لتلاميذ السنة التاسعة من التعليم
الأساسي، ص 23.

ملاحظة: مقالات كل من: محمد الشريف سيدي موسى، مختار فيلاي، أبو عبد
السلام جعفر أولفقي، أحمد تواقين، محمد الصالح الصديق، يحي بوعزيز، محمد
الطاهر عزوي كلها مداخلات مكتوبة بالكمبيوتر، أقيمت أو قدمت للملتقى:
«البعد الروحي في ثورة التحرير المباركة»، المنظم من قبل وزارتي المجاهدين
والشؤون الدينية والأوقاف، بولاية سطيف خلال يومي: 21 - 22 شعبان
1423هـ الموافق لـ 28 - 29 أكتوبر 2002م.

حرّة مستقلّة، فجزاهم الله عن وطنهم ودينهم وأمّتهم خير الجزاء،
وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا
كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.